الرحيل ، وقرر الاجتماع العائلي هجرته ، وحنى الفراقُ قوسَه ، وانتسخ الأملُ في البقاء .

إلى الحجاز

في سنة ٣١٧ هـ في عصر المقتدر بالله (٢٩٥ — ٣٢٠ هـ) توجهت قافلة كبيرة من البصرة ، غادرتها وهي تعج بسكانها وتضطرب بصناعها ، تخترق فضاءها أصواتُ الباعة ، وسائقي الدواب ، ومطارق الحدادين ورغاء الابل في المعاطق ، وضربت القابلة في فسيح الأرض ، واجتازت الوهاد ، وصعدت كل نجد .

غادرت القافلة تلك المدينة بعد أن هاجمتها غوائل الدهر ، ومرّت عليها الحوادث والمآسي ، مُتوغلةً في الصحراء ، تحمل الإمام المهاجر وزوجته زينب بنت عبد الله بن الحسن بن علي العريضي ، وابنه عبد الله وزوجته أم البنين بنت محمد بن عيسى بن محمد ، وحفيده اسماعيل (الملقب بصري) ابن عبد الله ، وحاشية عدد أفرادها نحو السبعين .

سلكت القافلة طريق الشام ، فقد اضطرب الأمن في « درب زبيدة » الذي يبلغ طوله ٧١٢ ميلاً ، وهو الطريق الممتد من العراق إلى البلاد المقدسة ، فقد اندثرت الآبار والعيون والبرك والمحطات والخانات لراحة المسافرين والخزانات والعلامات التي يهتدي بها الناس لسلوك الطريق ، وغير ذلك مما عملته زبيدة زوجة هارون الرشيد ، وبذلت لها الأموال الطائلة ، لقد اندثر كل ذلك بعد عصر المتوكل ، وصارت القبائل تعيث فيه وتهاجم القوافل وتقتل الناس وتسبي النساء . ثم كانت ثورة الزنج ثم القرامطة وبالاً وسبباً في هذه الفوضى ، على الرغم من أن القوافل يحميها الجنود أحياناً ، حتى توقف الحجاج عن سلوك هذا الطريق وصاروا يسلكون